الأستاذ: أحمد ماريف **جامعة ابو بكر بلقايد-تلمسان-**
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

المقياس: ابستيمولوجيا العلوم الانسانية
المستوى: السنة اولى جذع مشترك علوم انسانية

عنوان المحاضرة: ابستيمولوجيا العلوم الانسانية

مقدمة:

إن التقدم الذي أحرزه المنهج التجريبي في دراسته لعلوم المادة(الجامدة والحية)، شجع العلماء على نقل هذا المنهج إلى ميدان السلوك الإنساني، من خلال أبعاده الثلاثة: النفسي (علم النفس) والاجتماعي (علم الاجتماع)والماضوي (علم التاريخ) وكنا قد أشرنا من قبل الى مفهوم العلوم الانسانية وابرز خصائص الظاهرة الانسانية لكن التساؤل الان هو عن ابستيمولوجيا العلوم الانسانية، وعليه: ما هي ابستيمولوجيا العلوم الانسانية؟ ما غايتها ؟ ما الهدف منها؟

1)تعريف ابستيمولوجية العلوم الانسانية:

هي محاولة البحث في المعرفة الانسانية وكل ما يتعلق بالذات الانسانية باعتبارها ذاتا عارفة عاقلة وناطقة، وبالتالي فابستيمولوجية العلوم الانسانية هي بحث ورصد للمعرفة من خلال البحث في اسسها ومنطلقاتها مع محاولة تعديلها او تطويرها وحتى تجديدها وتعديلها باتباع الاسس العلمية، لكن هذا يطرح سؤالا هاما مرتبط بامكانية تطبيق المنهج التجريبي في رداسة الظواهر الانسانية دراسة موضوعية مثل ما هو حال الدراسات الخاصة بالظواهر الطبيعية، وعليه ما امكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية؟

وتجدر الاشارة الى ان البحث في العلوم الانسانية بدا منذ فترة العصور الوسطى لكنه تطور في عصر النهضة بصورة كبيرة الى ان تطور البحث في هذا الميدان مطلع القن 18 و19 حيث استقلت العلوم الانسانية عن العلوم الاخرى.

2)العلوم الإنسانية و استحالة الدراسة التجريبية:

هناك صعوبات منهجية تواجهها، ويمكن تقسيمها إلى صعوبات عامة، تمس جميع فروع العلوم الإنسانية، وأخرى خاصة بكل فرع، وسنعرض هذه الصعوبات تباعا لمستوى علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس، ونبين كيف تمكن العلماء من اقتحامها، كل في تخصصه:

إن الظاهرة الإنسانية ليست ظاهرة شبيهة بالظواهر الأخرى، فهي تتميز بأنها ذاتية وقصدية، وتوجهها جملة من قيم وقواعد الإنسان؛ وبعواطفه ومبادئه، و التبي لا يمكن التنبؤ بها. وهذا ما يشكل عقبات أمام تطبيق مقياس التجربة المعروف في العلوم الطبيعية.

1) عوائق الحادثة التاريخية::

- إنها حادثة ذات سمة فردية، تجري في زمن محدد ومكان اجتماعي معين.
- لا تتكرر، بمعنى أن الحتمية التي تعتبَر مبدأ أساسيا في علوم المادة، لا تنطبق على التاريخ ما دامت الحوادث التاريخية حوادث تمضي ولا تعود.

- إنها غير قابلة لأن تعاد مرة جديدة في المختبر بطرق اصطناعية، لا يستطيع مثلا، أن نحدث حربا " تجريبية " واستحالة إجراء التجارب يحُول دون الوصول إلى القوانين، وبالتالي إلى مرحلة التنبؤ بمستقبل الحادثة.
- كما أنها غير قابلة للتكميم.
-انفلاتها من الدراسة الموضوعية النزيهية، فقد تقوم حكومة ذات نظام جديد إلى تغيير كل المؤلفات التاريخية السابقة في التعليم الشعبي، في حين أنها لا تفكر في تجديد كتب الرياضيات أو الكيمياء .

2)- عوائق الظاهرة الاجتماعية:

- ليست اجتماعية خالصة؛ إنها تنطوي على خصائص، بعضها بيولوجي، وبعضها نفسي، و بعضها تاريخي.
- إن الظواهر الاجتماعية بشرية لا تشبه الأشياء؛ لأن الإنسان يملك حرية الإرادة في التصرف ولا تتحكم فيه مثل تلك الحتمية التي تحكم الظواهر المادية.
- كيف يمكن أن يكون عالم الاجتماع موضوعيا في دراسته لموضوع، ينطوي على جوانب ذاتية؟
- إنها ذاتية، يقول "ج. س. مِلْ": "إن الظواهر المعقدة والنتائج التي ترجع إلى علل وأسباب متداخلة، لا تصلح أن تكون موضوعا حقيقيا للاستقراء العلمي المبني على الملاحظة والتجربة". ولهذا، فإنها تستعصي على التجربة أنه يستحيل على الباحث الاجتماعي تدوين قوانين تصور لنا ما سيكون.

3)- عوائق الحادثة النفسية:

- إنها موضوع لا يعرف السكون ولا يشغل مكانا محددا كما هو الشأن في ظواهر الطبيعة، فلا مكان للشعور، ولا محل للانتباه، ولا حجم للتذكر أو الحلم. إنها سيل لا ينقطع عن الحركة والديمومة: إنها لا تبقى على حالها في زمنين متواليين.
- شديدة التداخل والاختلاط، يشتبك فيها الإدراك مع الإحساس والذكاء مع الخيال والانتباه مع الإرادة...
- فريدة في نوعها لا تقبل التكرار؛ بل نتائجها لا تتجاوز حدود الوصف والكيف. واللغة المستعملة تعجز أحيانا عن وصف كل ما يجري في النفس، فضلا عن النطق الواضح باللاشعور.
- إنها داخلية لا يدركها مباشرة سوى صاحبها، شخصية وتجارب خاصة تعود لاهتمام الفرد وميوله وتربيته التي تميزه عن غيره.

هذه هي أهم العوائق التي تقف في وجه الباحثين في حقل العلوم الإنسانية عموما . فكيف استطاعوا اقتحامها على منوالهم ؟

3)العلوم الإنسانية و امكانية الدراسة التجريبية:

لقد سعى الباحثين في ميدان العلوم الانسانية الى محاولة ازالة وتذليل العوائق والصعوبات التي تعترض دراسة الظواهر الانسانية دراسة علمية ومحاولتهم اخضاعها للدراسة التجريبية وهذا من خلال محاولة تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية.

1- تجاوز العقبات في التاريخ:

يعود الفضل في تذليل هذه العقبات إلى "عبد الرحمن بن خلدون" وعدد من المؤرخين الأوروبيين....عبر الخطوات التالية:

- قام المؤرخ بتناول الحادثة من خلال الآثار والنصوص؛ وقد صنفت إلى فئتين: المصادر غير الإرادية كالأبنية الأثرية والنقود والأسلحة والأوسمة؛ والمصادر الإرادية أو المباشرة التي احتفظ بها، كالروايات وكتب التاريخ والوثائق الإدارية.
- لكن المؤرخ قبل أن يقوم بإعادة بناء الحادثة التاريخية يمارس النقد؛ وفي النقد يميزون عادة بين النقد الخارجي والباطني.
- ففي النقد الخارجي، يتناول المؤرخ الوثيقة ليتفحص شكلها، فيتساءل هل ترجع إلى الزمن الذي تنتمي إليه ؟
المصدر كنوع الورق والحبر أو شكل الخط. وإذا كان المصدر سلاحا أو نقودا أو أوسمة، تفحص الظام؛ وتفحص طبيعة أنواع المواد الكيميائية إذا كان المصدر من الآثار الفنية أو القديمة. (الكربون 14 التجريب على المعادن)
- وفي النقد الداخلي: يختبر مضمون المصدر، فيتحقق من أن ما ورد في المصادر يتماشى وعقلية العصر(لغتهم مصطلحاتهم مقابلة بمصادر أخرى).
وعندما يتعرض الباحث للآثار المروية لا بد من أن يتفحص نفسية صاحب الرواية والمؤثرات التي من شأنها أن تدفعه إلى تشويه الحقائق التاريخية. وأهمها الايدولوجيا (مؤثرات التحزب لعقيدة سياسية أو دينية)، وكثيرا ما يتعمد الكذب لاستهواء السامعين أو تملقا للحكام إما خوفا منهم أو طلبا لفائدة شخصية. والذهول عن المقاصد عائق للصدق: وقد يكون عرضة لخطأ غير مقصود.[1]
فيما يخص الفجوات يملئ المؤرخ الفراغ التاريخ بالفرضيات(إبادة الأسرة الفرعونية بسبب وراثي).
وأخيرا، يعيد بناء الحادثة فيؤلف بين أجزائها ويرتبها حسب تسلسلها الزمني.
مرحلة جمع الوثائق ثم التصنيف ثم التدوين.
2- تجاوز العقبات في علم الاجتماع: لقد بدأ اقتحام العقبات مع تحديد "إيميل دوركايم" لخصائص الظاهرة الاجتماعية وأهمها خمس :
- "إنها توجد خارج شعور الأفراد" أي أنهم في سلوكهم مقيَّدون بجملة من العادات والأعراف والقوانين التي هيئت لهم قبل أن يولدوا.
- و" تمتاز أيضا، بقوة آمرة قاهرة، مما يجعل الظاهرة الاجتماعية تتسم بطابع الإكراه والإلزام..وفي ذلك يقول "دوركايم":"لست مجبرا على استخدام اللغة الفرنسية كأداة للتخاطب مع أبناء وطني، ولست مضطرا إلى استخدام النقود الرسمية؛ ولكني لا أستطيع إلا أن أتكلم هذه اللغة وإلا أن أستخدم هذه النقود. ولو حاولت التخلص من هذه الضرورة لباءت محاولتي بالفشل".
- وتمتاز أيضا ، بأنها جماعية تتمثل فيما يسميه " دوركايم "بالضمير الجمْعي.
- وهي في ترابط يؤثر بعضها في بعض ويفسر بعضها البعض الآخر. وهذا يعني أن الظاهرة الاجتماعية لا تعمل منفردة . فالأسرة مثلا، هي مرآة المجتمع وبينهما تأثير متبادل.
-وأخيرا، تمتاز بأنها حادثة تاريخية إذ تعبر عن لحظة من لحظات تاريخ الاجتماع البشري.
وهكذا وضح "دوركايم" أسلوب التعامل مع الظاهرة وبين أنها مثل جميع الظواهر الأخرى القابلة للدراسة انطلاقا من منهاج الملاحظة ووضع الفروض والانتهاء إلى الميدان

التجريبي لتدوين القانون. يقول: يجب أن "نعالج الظواهر على أنها أشياء" أي نعالجها بنفس المناهج التي يدرس بها العالم الفيزيائي الحادثة الطبيعية".

3- تجاوز العقبات في علم النفس:

- أن الموضوعية ليست حكرا على العلوم المعروفة بالتجريبية، وأول من خاض المبادرة هم السلوكيون. وهي مبادرة استوحاها "واطسن" رائد السلوكية، من تجربة " بافلوف " الفيزيولوجي الروسي، وهكذا اتخذت المدرسة السلوكية من المنعكس الشرطي دعامة منهجية لدراسة السلوك باعتباره المرآة العاكسة للحادثة النفسية.

- فما الفكر في لغة السلوكيين، سوى اللغة التي نتكلم بها، وما الذكاء سوى السلوك الذي نذلل من خلاله العقبات التي تواجهنا. وبهذا، أعرض علم النفس عن الأفكار الفلسفية إلى دراسة السلوك، وهو موضوع قابل للملاحظة العلمية وما يتبعها من وضع الفروض والتحقق منها تجريبيا ومن تدوين القوانين.

استنتاج:

يمكن القول ان الدراسات في العلوم الإنسانية قد حققت نجاحا كبيرا وتمكنت رغم كل ما اعترضها من صعوبات من الاتصاف بالموضوعية وان تطبق المنهج العلمي بفضل مجهودات الكثير من الباحثين في هذا التخصص العلمي، واثبتث هذا في الكثير من الحالات من خلال استطاعة الانسان على معرفة نفسه وابعاده المختلفة وخاصة محاولة فهمه لذاته بكل ما تحمله هذه الذات من معطيات وان تعرفه بنفسه باعتباره ذلك الكائن الفريد من نوعه.